الدرس الحادي والثلاثون

أستير

حفظ الله في نعمته لإسرائيل

فرادة سفر أستير

"أنا عدو لدود لسفر مكابيين الثاني ولأستير حتى إني أتمنى لو أنهما لم يوجدا على الإطلاق، إذ يحتويان على أمور وثنية غير سوية." – مارتن لوثر

لم يكن لوثر وحيداً في التشكيك في قانونية هذا السفر. فقد شكك في ذلك أيضاً مفكّرون مسيحيون ويهود على حدٍّ سواء. وأسباب ذلك واضحة. وأهم هذه الأسباب أن السفر لا يذكر الله بتّاتاً. وفضلاً عن ذلك، فإنه لا يوجد ذكر لأورشليم أو الهيكل أو الناموس أو العهد أو الذبيحة أو الصلاة أو المحبة أو الغفران. وبالإضافة إلى ذلك فإن كثيرين من المسيحيين والأخلاقيين يعتبر الإعدام في نهاية السفر أمراً يثير الاشمئزاز، أي عملية ذبح اليهود لأعدائهم (9: 1–15).

خلفية تاريخية

ينسب السفر قصته إلى فترة حكم الملك أحشويرش (انظر عزرا 4: 6)، وهو الذي يشار إليه أحياناً على أنه أحشويروش الأول، وهو ابن داريوس الأول. وقد حكم أحشويرش من 486–465ق م، والصيغة العبرية لاسمه هي (אֲחַשְׁוֵרוֹשׁ, *ʾăḥašwērōš*) متفقة مع الصيغة الفارسية، خشايارشا. وإن ذكر عزرا للملك أحشويرش بين داريوس (522–486) وأرتحشستا (465–424) يضفي مصداقية على القول بأن أحشويرش هو نفسه أحشويروش الأول.

فإذا كان تعريف أحشويرش بأنه أحشويروش الأول صحيحاً، فإنه يمكننا إرجاع سفر أستير إلى فترة حكمه، أي ما بين 486–465ق م. وهنالك ثلاثة تواريخ متضمنة في السفر:

السنة الثالثة لحكمه (1: 3) =483ق م	–	المأدبة التي تزامنت مع خلع الملكة
السنة السابعة لحكمه (2: 61) = كانون2 عام 479–كانون2 عام 478	–	إحضار أستير للملك
السنة الثانية عشرة لحكمه (3: 7) =474ق م	–	هامان يلقي القرعة – ساعياً لإبادة اليهود

ولهذا يمكن إرجاع أحداث السفر المتنوعة إلى فترة ما بين 483–474ق م. ويحدد السفر شوسن (أو سوسة) مكاناً لوقوع الأحداث (وهي تقع في ما يعرف اليوم بإيران الغربية، إلى الجنوب الغربي من ديزفول). ولقد كانت شوسن (سوسة) قد دمّرت قبل حكم أحشويشرس على يد أشوربانيبال عام 639ق م. غير أن شوشن برزت ثانية تحت حكم الماديين والفارسيين لتصبح العاصمة الإقليمية للآريين. وقد اختار داريوس الأول شوشن لتكون مقراً ملكياً له عام 521ق م (وبنى أيضاً قصراً آخرً في پيرسوبوليس في الجنوب الأوسط لإيران). وقد صارت شوشن (سوسة) تحت حكم أحشويرش المدينة الرئيسية. يقول ياماوتشي: "كانت في فصل الشتاء مشتى، أمّا في الصيف، فكان حرّها لا يحتمل."[1] وغالباً ما كانت مدينة إكبتانا هي العاصمة الصيفية.[2] وقد دمّر قصر شوشن مرة أخرى عام 435ق م أثناء حكم أرتحششتا الأول.

تتذكر أحشويرش (أحشويرش الأول) بشكل رئيسي لغزواته لليونان، وغالباً ما يذكره الكتّاب الكلاسيكيون، بمن فيهم هيرودتس. ويلخّص ياماوتشي وصف أحشويروش الأول كما وصفه هيرودتس:

> "بالإضافة إلى وصف هيرودتس لغزوات أحشويرش في غزو اليونان، فإنه يقدم صورة غير جذابة للملك من حيث نفاذ صبره وحدّة طبعه وعين زائغة باحثة عن النساء. ويقول هيرودتس إن أحشويرش لم يحاول أن يقيم علاقة غرامية مع زوجة أخيه فحسب، لكن كانت له علاقة غرامية بالفعل مع ابنتها."[3]

بعد أن اعتلى أحشويرش العرش، كانت إحدى مآثره الرئيسية إثارة كل إمبراطورية مادي–فارس ضد مملكة اليونان، حتى إن دانيال 11: 2 تشير إليه في هذا الخصوص. ويرجع هذا الغزو بشكل عام إلى حوالي 481–479 ق م، ويلقي بعض الضوء على أحداث أستير. ولم تكن المأدبة التي أقيمت في السنة الثالثة من حكم أحشويرش (2/483ق م)، والتي دامت 180 يوماً، مجرد حفلة للشرب، لكنها كانت أيضاً مناسبة يجتمع فيها الملك مع المسؤولين والأشراف في الإمبراطورية الفارسية من أجل وضع خطط لغزو اليونان.[4]

---

[1] Edwin Yamauchi, "The Archaelogical Background of Esther," BibSac 137: 546 (1980): 109.

[2] يقع الموقع القديم لمدينة إكبتانا جزئياً على ما يعرف الآن بمدينة همدان في إيران، وهي تبعد حوالي 300كم إلى الجنوب الغربي من طهران. وقد أسسها في الأصل الماديون حول عام 678ق م، واستولى عليها الملك الفارسي كورش عام 550ق م. وترتفع المدينة 1877متراً، وهي تقع على سفح جبل ألفاند، ولهذا كان طقسها أبرد من طقس شوشن في الصيف (مع أنها باردة جداً في الشتاء).

[3] المرجع السابق، 104.

[4] John C. Whitcomb, *Esther*: Triumph of God's Sovereignty (Chicago: Moody Press, 1979), 34

وقد أمضى أحشويرش أربع سنوات وهو يحشد جيوشه ويجري استعدادات لجنوده (انظر دانيال 5: 7 حيث تشبَّه مملكة فارس بدبّ جائع)، وقد بدأت الحملة العظيمة ضد اليونان في ربيع عام 481 ق م.[5] غير أن النتائج لم تكن ناجحة. فقد تم تدمير أسطوله العظيم أمام عينيه في سلاميس، إلى الغرب من أثينا (عام 480 ق م). أمّا جيشه، فقد صدّه السبارطيون تقريباً عند ممر ثَرْموبالي، وهُزم عام 479 ق م في بلاتيا، إلى الشمال الغربي من أثينا.[6] غير أن الإمبراطورية الفارسية بقيت سليمة رغم كل الهزائم.

وبمقارنة أستير 1: 3 مع 2: 16 يمكن أن يلاحظ المرء وجود ثغرة تمتد حوالي أربع سنوات بين الحفلة التي خُلعت أثناءها الملكة وشتي عن العرش وبين تنصيب أستير ملكة. وهذا أمر مفهوم تماماً في ضوء غياب أحشويرش في غزواته لبلاد اليونان. ومن هنا فقد عاد من غزواته الفاشلة لليونان في عام 479 ق م، وجعل أستير ملكة في أواخر 479 أو ربما في كانون الثاني من عام 478 ق م.

ثم مرت خمس سنوات على اختيار أستير ملكة لأكثر الإمبراطوريات اتساعاً إلى أن أتى هامان وحاول إبادة اليهود. وقد تمكنت خلال هذه الفترة من إبقاء هويتها اليهودية سراً (انظر 2: 20). ويعتقد وتكومب أن هذا الأمر لا يعكس تكريساً عالياً لله:

> "إنها لا تظهر الروح التي ترفع شعار "اليهودية بأي ثمن"، تلك الروح التي تميز دانيال وحتى يهوديت في السفر الأبوكريفي. فقد حافظت على سرّها مدة خمس سنوات على الأقل (انظر 2: 16؛ 3: 7). فلكي تحتفظ بهذا القناع طوال هذه المدة، لابد أنها لم تكتفِ بأن تأكل وتلبس وتحيا كفارسية. إذ لابد أنها كانت تعبد كفارسية!"[7]

ربما يكون اسم أستير قد اشتق من عشتار، إلهة الحب البابلية، بينما اشتق اسم مردخاي من مردوك، إله بابل. وقد حاول بعض الباحثين أن يشككوا في تاريخية سفر أستير في ضوء شكّهم في وجود مثل هذا الشخص المعروف باسم مردخاي. وإن وجوده عند باب (بوابة) الملك يشير على الأرجح إلى أنه كان يخدم كمسؤول في البلاط (لاحظ 4: 2)، وهو ما يفسر كيف اكتشف خطة المسؤولين ضد الملك (2: 21، 22). يعلق ماوتشي على شخصية مردخاي فيقول:

---

[5] المرجع السابق، 35.

[6] المرجع السابق 30.

[7] المرجع السابق، 24. يقتبس وتكومب من أطروحة كتبها كارل أ. بيكر بعنوان. ("An Investigation of the Spirituality of Easther," Grace Theological Seminary, 1977).

"يظهر هذا الاسم في رسائل آرامية، لكن ما له دلالة كبيرة هو ورود اسم "مردوكا" في لوح من بورسِبّا في منطقة ما بين النهرين. ولقد كان هذا اللوح موجوداً في مجموعة أمهيرست في إنجلترا عام 1904، لكنه لم ينشر إلا عام 1942 على يد أنجاند بعد بيعه إلى متحف برلين.

ويرد اسم "مردوكا" بوصفه "سبير" ("محاسباً") يقوم بجولات تفقدية أثناء السنوات الأخيرة لداريوس أو السنوات الأولى لأحشويرش. وأنجاند مقتنع بأنه "من غير المحتمل وجود شخصين باسم "مردوكا" يعملان كمسؤولين كبيرين في شوشن." ولها فإنه يستنتج أن هذا الشخص المذكور ما هو إلاّ عم أستير.[8]

ربما كان اكتشاف نص بحروف مسمارية على يد أنجاند يتحدث عن مسؤول في البلاط باسم مردوكا أهم دليل متوفر لدينا للدفاع عن تاريخية السفر.

الغرض من السفر

يقدم سفر أستير رواية لصراع سياسي حاد جداً يتضمن شريحة من اليهود الذين بقوا في السبي أثناء الفترة التي شهدت هيمنة فارس. تحوّلت الأحداث بشكل فريد، فانقلبت المؤامرة الشريرة للقضاء على اليهود على أصحابها. وأصبحت القصة نتيجة لذلك ذات أهمية أو دلالة خاصة لليهود، حيث إن كل وجود الجنس اليهودي كان معرضاً لخطر شديد (حتى بالنسبة لليهود الذين كانوا قد عادوا إلى الأرض). ونتيجةً لذلك أقيم احتفال خاص لإحياء ذكرى نجاة اليهود وانتصارهم. وبمعنى ما، فإن السفر يشرح أصل عيد الفوريم. ويقدم السفر المناسبة التاريخية للاسم، وأسباب التواريخ المعطاة، وأصل الاسم. واسم الفوريم مأخوذ من محاولة هامان إلقاء قرعة للتحقق من يوم "الحظ" الذي سينفذ فيه مهمته. ويعلّق مور قائلاً، "إنه لأمر واضح أن كلمة بور ("فور") في أستير 3: 7 و9: 24 تمثّل الكلمة الفارسية "بورو" التي تعني "القرعة"، وهي كلمة تعني أيضاً "المصير."[9] وقد أصبح عيد الفوريم عند اليهود إحدى أكثر المناسبات المفرحة في السنة، ويُحتفل بها في الشهر الثاني عشر، (أي آذار).

وعلى الرغم من أن السفر يقدم شرحاً لأصل عيد الفوريم، إلاّ أن قصد السفر أعمق من ذلك. فلقد لاحظ كثيرون من دارسي الكتاب المقدس الإحساس القوي بسيادة الله على مدى هذا السفر. ويمكننا أن نرى ذلك في التفاصيل التالية:

1. احتل مردخاي، وهو يهودي قريب لأستير، منصباً رسمياً في خدمة الملك (يجلس "بباب" الملك 2: 5، 6، 19).

[8] Yamauchi, 107.

[9] Carey A. Moore, "Archaeology and the Book of Easther," The Biblical Archaeologist, 38: 34 (1975): 76.

2. من بين كل النساء الجميلات في المملكة تمَّ اختيار بنت يهودية (أستير) ملكة (2: 8، 17).
3. من بين كل الناس، يعرف مردخاي عن محاولة اغتيال الملك ويستطيع إحباط محاولة الاغتيال (2: 22).
4. تستطيع أستير أن تقترب من الملك دون أن تدعى إلى حضرته، وتحوز على رضاه (5: 2).
5. يصاب الملك بالأرق في إحدى الليالي، ويراجع سجلات البلاط، فيحاط علماً بعمل مردخاي البطولي (انظر النقطة الثالثة)، ويطلب تكريمه في نفس اللحظة التي يأتي فيها هامان طالباً إعدام مردخاي (6: 1، 2).
6. يرفّع مردخاي إلى ثاني أهم منصب في المملكة الفارسية (8: 2)، مما يجعل حكّام المنطقة حذرين من الإساءة إلى يهوديته (9، 2، 3).
7. يفوّض الملك أستير ومردخاي بكتابة مرسوم جديد مناصر لليهود (8: 8).
8. يعجز أعداء اليهود عن التغلب على يهود المملكة (9: 2).

تؤكد هذه الملاحظة أن الله يمارس عنايته الإلهية المطلقة ويعمل على حفظ شعبه المختار. غير أن الغرض من السفر هو إظهار سيادة الله على مصير شعب عهده. ومفتاح فهم السفر هو ملاحظتنا أن هذا هو شعبه الخارج على إرادته! ترجع أحداث الرواية إلى حوالي 480 ق م، لكن بني إسرائيل الأمناء كانوا قد عادوا من السبي إلى أورشليم في زمن كورش عام 538ق م. وجاءت هذه العودة السابقة استجابة لتعبير يهوه الواضح عن إرادته في إشعياء 40–48. ففي ذلك القسم من رسالة النبي، يخاطب النبي بني إسرائيل الذين كانوا قد ذهبوا إلى السبي البابلي، ويقدم لهم كلمة تشجيع من الرب. ويقول لهم ما مفاده: "تشجّعوا! فأنا لم أنبذكم إلى الأبد. إذ سأقيم عبدي كورش الذي سيفعّل وسائل إطلاقكم من السبي. وعندما يحدث هذا، فإنه يتوجب عليكم أن ترجعوا إلى يهوذا لكي تتمكنوا من الاستمرار في برنامج العهد." وإن وجوب ترك المسبيين لبابل والعودة إلى الأرض الموعودة أمر معلن صراحة في إشعياء 48: 20، "اخرجوا من بابل! اهربوا من أرض الكلدانيين!" (قارن زكريا 2: 6–7). ولهذا عندما ننظر إلى سفر أستير، فإننا نتساءل: "ما الذي يفعله هؤلاء في بلاد فارس؟" فلو كانوا من بني إسرائيل المؤمنين لعادوا إلى الأرض وانشغلوا بعمل الله!

يساعد هذا الأمر على تفسير الإغفال المتعمّد لاسم الله. إذ لا يوجد أي دليل أن الشعب، بمن في ذلك أستير ومردخاي، يعتمدون على الله في معضلتهم اليائسة. ولا توجد أية إشارة إلى أنهم يلجأون إلى الرب في صلاة أو إيمان (يوجد هناك نواح وصوم، لكن ربما لا يتعدّى هذا ما يمكن أن يفعله الناس في ديانات أخرى). فهم لا يدعون إله السماء ولو مرة واحدة! وحتى عندما نتوقع ذلك في 4: 14 في تشجيع مردخاي لأستير، فإنه لا يوجد مثل هذا الذكر لإله السماء. وقد قال د. والتك إنهم كانوا يعيشون بذكائهم.

ويقول وتكومب: "يبدوا أنه لا يوجد دليل على أن أياً من مردخاي أو أستير كان يخبئ في قلبه رغبة للارتباط ببرنامج الله الديني، بالارتحال إلى أورشليم وتقديم الذبائح الموسوية على المذبح من خلال كهنة لاويين، والصلاة إلى يهوه في هيكله المقدس."[10] لا يوجد أي ذكر لله، لأنهما لم يكونا مهتمين أصلاً ببرنامج الله الديني المتركز في تلك البلاد. ويقول مور إن علينا أن ننظر إلى تصرفات مردخاي "كتعبير عن الروح القومية اليهودية والكبرياء، لا كتعبير عن التمسُّك بخروج 20: 5."[11] يقول جي. أس. رايت: "كان مردخاي وطنياً متحمساً، ورجلاً شجاعاً، لكن إخفاءه لأصله اليهودي في البداية (2: 10) ربما يشير إلى أنه كان انتهازياً أكثر منه تقياً."[12]

ويمكن تلخيص سفر أستير باختصار كما يلي:

"كتب سفر أستير لإظهار العناية الإلهية في اهتمام الله بحفظ إسرائيل مع أن الأمة لم تكن مهتمة كثيراً بمسألة العودة إلى أورشليم."[13]

ونتيجةً التمحيص الدقيق لسفر أستير من منظورٍ أدبي، يضيف ويلاند (Weiland):

نسج الراوي في سفر أستير تطورات العقدة وتصوير الشخوص واستخدام السخرية معاً لتقديم انطباع دراماتيكي لله الذي كان بعنايته يُشرِف على شؤون شعبه – حتى حين كانوا غير مهتمين بالأمور الروحية ويجهلون عنايته . . .

. . . وبالاعتماد على العرض الأدبي، يبدو أن الكاتب كان يرغب بنقل قرَائه من موقف البُعد والاغتراب يهوه إلى موقف الإيمان الحي الفاعل به والدهشة لأعمال عنايته والامتنان لاهتمامه. والتأثير المُشترك والأخير لهذا العمل تأثير دراماتيكي وكرازي –

[10] Whitcomb, 22.

[11] Moore, 36.

[12] Merrill C. Tenney, ed. *The Zondervan Pictorial Encyclopedia of the Bible* (Grand Rapids, MI: Zondervan Pub. House, 1975), s. v. "Esther, Book of," by J.S. Wright (2: 380).

[13] أنا مدين بهذه الفكرة للدكتور ريك جريفيث، وهو زميل سابق لي في كلية الكتاب المقدس في سنغافورة (Singapore Bible College).

دراماتيكي في رؤية عناية الله بالذين يبدون عديمي الإدراك للأمور الروحية أو حتى عديم المبالاة بها، وكرازي في ضرورة قيادة لطف الله للناس إلى التوبة (رومية 2: 4).[14]

وهكذا نجد في أستير صورة لإسرائيل في عدم إيمانها، وهي تتمتع بالازدهار خارج إرادة الله. ولهذا، فإنه لا داعي لأن نفرح لأن هؤلاء اليهود قتلوا 75.000 شخص من أعدائهم. لا شك أن الله نجّى يهود بلاد فارس، لكن الفضل الحقيقي في حفظهم لا يعود إلى "ذكائهم" وإنما إلى سيادة الله. يقول وتكومب:

إن سفر أستير رسالة رجاء لإسرائيل أيضاً. فحتى وهي في حالتها غير المخلَّصة، مقطوعةً بسبب عدم الإيمان عن مؤسساتها المعطاة من الله، فإن الله لم ينسها. وربما نسيت شعوب العالم منذ زمن بعيد عهده مع إبراهيم. لكن يهوه لم ينسَ، "إنه لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل" (مزمور 12: 4).[15]

درس لحياتنا

بدا في نهاية الأصحاح الخامس أن مردخاي سيُشنق في الصباح لا محالة. غير أن الآيات الأولى من الأصحاح السادس تبين كيف أن الله يعمل بشكل عجيب:

"في تلك الليلة طار نوم الملك، فأمر بأن يؤتى بسفر تذكار أخبار الأيام فقُرِئت أمام الملك. فوجد مكتوباً ما أخبر به مردخاي عن بغثانا وترش. . . " (أستير 6: 1–2).

ألا تستغرب عدم استطاعة الملك النوم في تلك الليلة؟ أيبدو غريباً أنه "صدف" أن قرأ في السجلات عن عمل مردخاي العظيم؟ ليس هذا بغريب، فسيادة الله هي التي تعمل. وسيادة الله التي لا تبكّر ولا تتأخر دقيقة واحدة، هي التي كانت ترعى مردخاي. إن من شأن هذا أن يشجعني وإياك على عبادة الرب يسوع اليوم. فسيادة الله هي إلى جانبنا، وهذا هو مصدر شجاعتنا وثقتنا!

[14] Forrest S. Weiland, "Literary Clues to God's Providence in the Book of Esther," *BibSac* 160:637 (Jan-Mar 2003): 46-47؛ قارن مع Wieland, "Literary Conventions in the Book of Esther," *Bib Sac* 159:636 (Oct-Dec 2002): 425-35.

[15] Whitcomb, 27.